الحرم (سيدنا علي)

الحرم (سيدنا علي): قرية فلسطينية مهجّرة من قضاء يافا

الحرم، المعروفة أيضًا باسم سيدنا علي، قرية فلسطينية مهجّرة من قرى قضاء يافا، كانت تقع على تل منخفض من الحجر الرملي مشرف على شاطئ البحر الأبيض المتوسط، على بعد نحو 16 كيلومترًا شمال يافا، وعلى ارتفاع متوسط يبلغ نحو 25 مترًا عن سطح البحر. بلغ عدد سكانها العرب 520 نسمة في إحصاءات 1944/1945. بدأ نزوح سكانها في ظروف الخوف والقتال خلال الأشهر الأولى من سنة 1948، بينما تشير الرواية التفصيلية في المصادر الفلسطينية إلى أن السيطرة العسكرية الصهيونية النهائية على القرية وقعت على الأرجح قبيل انتهاء الانتداب البريطاني في 15 أيار/مايو 1948.

البيان	المعلومة
القضاء	يافا
المسافة من مركز القضاء	16 كم شمال يافا
متوسط الارتفاع	25 مترًا عن سطح البحر
السكان سنة 1931	333 نسمة

البيان	المعلومة
عدد المنازل سنة 1931	83 منزلًا
السكان سنة 1944/1945	520 نسمة – السكان العرب؛ ومجموع الوحدة الإحصائية 880 نسمة، منهم 360 يهوديًا
تقدير السكان سنة 1948	نحو 603 نسمة – تقدير ديموغرافي لاحق وليس تعدادًا رسميًا
إجمالي الأراضي سنة 1945	8,065 دونمًا
الهجوم والتهجير	لا توثق المصادر المتاحة هجومًا محددًا على القرية؛ ويذكر الخالدي أن القوات الصهيونية احتلتها، في الأرجح، في وقت ما قبل نهاية الانتداب البريطاني في 15 أيار/مايو 1948، حين كانت تسيطر على كامل المنطقة الساحلية الممتدة بين حيفا وتل أبيب.
السيطرة الإسرائيلية النهائية	على الأرجح في وقت ما قبل 15 أيار/مايو 1948، بحسب الخالدي؛ ولا تحدد المصادر المتاحة يومًا بعينه.
المستعمرات الموثقة على أراضي القرية	كفار شمرياهو، أُنشئت سنة 1937 إلى الجنوب الشرقي من موقع القرية على ما كان تقليديًا من أراضيها؛ وريشبون، بُنيت سنة 1936 على الحدود الشمالية لأراضي القرية

الموقع

كانت الحرم تقع في السهل الساحلي الأوسط على تل منخفض من الحجر الرملي يشرف مباشرة على البحر الأبيض المتوسط.

بلغت المسافة بينها وبين مدينة يافا نحو 16 كيلومترًا إلى الشمال، وكان متوسط ارتفاعها نحو 25 مترًا عن سطح البحر.

وأكسب موقعها الساحلي سكانها إمكانية الجمع بين الزراعة وصيد السمك.

اسم القرية ومقام سيدنا علي

عُرفت القرية باسم «الحرم» وباسم «سيدنا علي» نسبة إلى المقام والمسجد اللذين شكلا أبرز معالمها الدينية.

توجد مشكلة في بعض الصياغات الحديثة التي تسمي صاحب المقام «الحسن بن علي» المتوفى سنة 1081م والمنحدر من الخليفة عمر بن الخطاب؛ فهذا التعريف غير منسجم تاريخيًا مع شخصية الحسن بن علي المعروفة.

أما الرواية المحلية الفلسطينية الأكثر تفصيلًا فتعرف صاحب المقام بأنه الشيخ **علي بن عليل، المعروف أيضًا بابن عليم**، وتؤرخ وفاته بسنة 474هـ/1081م، وتربط نسبه بالخليفة عمر بن الخطاب.

لذلك يعتمد هذا المقال اسم «الشيخ علي بن عليل» عند الحديث عن صاحب المقام، مع التنبيه إلى اختلاف الصياغة في بعض المراجع الثانوية.

وكان مقام سيدنا علي مقصدًا للزوار من أنحاء مختلفة من فلسطين، خصوصًا في فصل الصيف، للصلاة والزيارة وإقامة بعض العادات الدينية والاجتماعية المرتبطة بالمقام.

البنية المعمارية والمرافق

كانت منازل الحرم متقاربة ومبنية بالحجارة أو بالطوب.

وكان المسجد والمقام يشكلان المركز الديني الرئيس للقرية، وامتاز المجمع بأروقة وقناطر وأعمدة ومئذنة.

وكان معظم سكان القرية من المسلمين.

بلغت المنطقة العربية المبنية نحو 18 دونمًا وفق إحصاءات 1944/1945.

التعليم

أُنشئت في الحرم مدرسة ابتدائية للبنين سنة 1921.

وبحلول أواسط الأربعينيات بلغ عدد التلاميذ المسجلين فيها 68 تلميذًا.

وتورد روايات محلية إضافية أن المدرسة كان يعمل فيها معلمان، وأن مكتبتها ضمت نحو 132 كتابًا، كما تذكر وجود نحو 110 رجال في القرية يعرفون القراءة والكتابة. وهذه التفاصيل مستقاة من التوثيق المحلي لأهالي الحرم وليست جميعها واردة بالتفصيل نفسه في المصادر المرجعية الأساسية.

السكان

تورد المصادر المحلية تقديرًا بنحو 341 نسمة سنة 1904.

وفي تعداد سنة 1922 بلغ عدد سكان الحرم 172 نسمة.

وفي تعداد سنة 1931 ارتفع العدد إلى 333 نسمة، وكانوا يقيمون في 83 منزلًا.

أما إحصاءات 1944/1945 فتحتاج إلى التمييز بين سكان القرية العرب وبين الوحدة الإحصائية الأوسع؛ فقد سجلت

520 عربيًا و360 يهوديًا، ليصبح مجموع الوحدة 880 نسمة.

وبذلك فإن عدد سكان القرية الفلسطينية نفسها كان 520 عربيًا، وليس 880.

أما رقم 603 لسنة 1948 فهو تقدير لاحق لسكان القرية العرب، ويورد «فلسطين في الذاكرة» تقديرًا يبلغ 3,704 لاجئين وذريتهم سنة 1998.

تطور عدد سكان الحرم

السنة	عدد السكان	ملاحظة
1904	نحو 341	تقدير تاريخي محلي
1922	172	تعداد رسمي
1931	333	تعداد رسمي
1944/1945	520 عربًا	سكان القرية العرب
1944/1945	880	مجموع الوحدة الإحصائية: 520 عربيًا +360 يهوديًا
1948	نحو 603 عرب	تقدير لاحق
1998	3,704	تقدير للاجئين وذريتهم

عدد المنازل

سجل تعداد سنة 1931 وجود 83 منزلًا في الحرم.

أما رقم 150 منزلًا لسنة 1948 فهو تقدير لاحق وليس تعدادًا رسميًا.

أراضي الحرم

بلغ مجموع أراضي الحرم وفق إحصاءات 1944/1945 نحو 8,065 دونمًا.

بلغت الملكية العربية 2,681 دونمًا، والملكية اليهودية 4,745 دونمًا، بينما بلغت الأراضي العامة 639 دونمًا.

المجموع	8,065
فئة الملكية	المساحة بالدونم
ملكية عربية	2,681
ملكية يهودية	4,745

المجموع	8,065
فئة الملكية	**المساحة بالدونم**
أراضٍ عامة	639

الزراعة والحياة الاقتصادية

كانت الزراعة عماد اقتصاد الحرم، إلى جانب صيد السمك بسبب موقع القرية الساحلي.

في إحصاءات 1944/1945 خُصص 136 دونمًا عربيًا للحمضيات والموز.

وبلغت الأراضي المروية أو المستخدمة للبساتين 301 دونم، منها 256 دونمًا عربية و45 دونمًا يهودية.

أما الحبوب فبلغ مجموع الأراضي المزروعة بها 6,387 دونمًا: 2,096 دونمًا عربية، و4,057 دونمًا يهودية، و234 دونمًا عامة.

ويورد «فلسطين في الذاكرة» رقم 2,330 دونمًا في خانة الحبوب العربية، لكنه يساوي عمليًا 2,096 دونمًا عربية مضافًا إليها 234 دونمًا عامة؛ لذلك يعتمد هذا المقال التقسيم المفصل الوارد في PalQuest.

وتورد المصادر المحلية أيضًا نحو 137 دونمًا مزروعة بالزيتون، وهو رقم يمثل محصولًا داخل الأراضي الزراعية ولا يضاف بصورة مستقلة إلى إجمالي استعمال الأرض.

المجموع	2,681	4,745	639	8,065
نوع الاستخدام	**عرب**	**يهود**	**عام**	**المجموع**
الحمضيات والموز	136	0	0	136
الأراضي المروية والبساتين	256	45	0	301
الحبوب	2,096	4,057	234	6,387
المبنية	18	0	0	18
غير الصالحة للزراعة	175	643	405	1,223

خربة أرسوف والتاريخ الأثري

تقع خربة أرسوف على بعد نحو 800 متر إلى الشمال من الحرم، وتمثل موقعًا أثريًا يعود تاريخه إلى فترات متعددة.

كشفت أعمال التنقيب التي جرت في سنتي 1977 و1982 عن بقايا سوق يعود إلى أوائل العصر الإسلامي.

ويمتد تاريخ الموقع الأثري من نحو القرن الخامس قبل الميلاد إلى القرن السادس عشر للميلاد.

وعُرف الموقع في العصر الهلنستي باسم «أبولونيا»، ثم أقام الصليبيون فيه حصنًا عرف باسم «أرسور».

وتذكر سجلات الضرائب العثمانية في القرن السادس عشر اسم «أرشوف».

وفي نيسان/أبريل سنة 1265 استولى السلطان المملوكي الظاهر بيبرس على أرسوف بعد حصارها ضمن حملاته على المواقع الصليبية على الساحل الفلسطيني.

ويبدو أن قرية الحرم الحديثة نشأت بعد أن هُجر موقع أرسوف في وقت ما من القرن السابع عشر، حول مقام ومسجد سيدنا علي.

النكبة وتهجير سكان الحرم

تختلف المصادر الفلسطينية في تحديد تاريخ النزوح والسيطرة العسكرية على الحرم.

فجدول «فلسطين في الذاكرة» يضع تاريخ 3 شباط/فبراير 1948، ويربط خروج السكان بالخوف من هجوم صهيوني أو من الوقوع في القتال.

أما الرواية التفصيلية المنقولة عن وليد الخالدي في PalQuest و«فلسطين في الذاكرة» فتقول إن القوات الصهيونية استولت على الحرم، على الأرجح، في وقت ما قبيل انتهاء الانتداب البريطاني في 15 أيار/مايو 1948، عندما أصبحت معظم المنطقة الساحلية الممتدة بين حيفا وتل أبيب تحت سيطرتها.

لذلك فالأدق عدم اعتبار 3 شباط تاريخًا مؤكدًا للاحتلال العسكري النهائي؛ بل يمكن فهمه بوصفه تاريخًا مرتبطًا بمرحلة مبكرة من النزوح أو إخلاء السكان، بينما وقعت السيطرة العسكرية النهائية لاحقًا، على الأرجح قبل 15 أيار.

ولا تحدد المصادر المرجعية التي تمت مراجعتها اسم عملية عسكرية مستقلة أو لواء أو كتيبة بعينها بوصفها القوة التي احتلت الحرم، ولذلك لا ينسب هذا المقال الاحتلال إلى وحدة غير موثقة.

تسلسل الاحتلال والتهجير

المرحلة	التاريخ	التفاصيل
إقامة مستعمرة على أراضي القرية	1936–1937	بُنيت مستعمرة ريشبون سنة 1936 على الحدود الشمالية لأراضي الحرم، وأُنشئت كفار شمرياهو سنة 1937 إلى الجنوب الشرقي من الموقع، على ما كان تقليديًا من أراضي القرية.

المرحلة	التاريخ	التفاصيل
الاحتلال النهائي	قبل 15 أيار/مايو 1948 (على الأرجح)	يذكر الخالدي أن القوات الصهيونية احتلت الحرم، في الأرجح، في وقت ما قبل نهاية الانتداب البريطاني، حين كانت تسيطر على كامل المنطقة الساحلية الممتدة بين حيفا وتل أبيب. ولا تحدد المصادر المتاحة يومًا بعينه، ولا تسمّي عملية أو وحدة.

المستعمرات والتوسع العمراني على أراضي الحرم

ريشبون

أُنشئت «ريشبون» سنة 1936 على الحد الشمالي لأراضي الحرم.

كفار شمرياهو

أُنشئت «كفار شمرياهو» سنة 1937 إلى الجنوب الشرقي من موقع القرية، على أراضٍ كانت تعد تقليديًا من أراضي الحرم.

هرتسليا

كانت هرتسليا قائمة قبل النكبة، ولذلك لا يصح القول إنها «أُنشئت فوق أنقاض الحرم» بعد سنة 1948.

لكن التوسع العمراني اللاحق لهرتسليا امتد إلى منطقة موقع القرية، وأصبح مسجد ومقام سيدنا علي اليوم ضمن محيطها العمراني.

التجمعات المرتبطة بأراضي الحرم

الاسم	سنة الإنشاء	العلاقة بأراضي القرية
ريشبون	1936	أُنشئت على الحد الشمالي لأراضي الحرم
كفار شمرياهو	1937	أُنشئت جنوب شرقي الموقع على أراضٍ كانت تعد تقليديًا من أراضي الحرم
هرتسليا	قبل 1948	توسع عمرانها لاحقًا ليشمل موقع القرية ومحيط مسجد سيدنا علي

الحرم بعد النكبة

وفق التوثيق الميداني الذي اعتمد عليه وليد الخالدي، بقي من القرية مقام سيدنا علي وبعض المنازل والمقبرة.

المقام مجمع معماري كبير جرى ترميم أجزاء منه، ويضم أروقة ذات أعمدة وقناطر ومئذنة ترتفع فوق أحد أبنيته.

وتظهر بالقرب منه أسس المنازل الفلسطينية المهدمة، كما بقيت عدة منازل قديمة قائمة في المنطقة.

أما المقبرة الفلسطينية فتطل على البحر، وقد تعرض جزء منها للاندثار والاستعمال كموقف للسيارات وفق توثيق وليد الخالدي.

وتشير روايات فلسطينية محلية لاحقة إلى أن مسجد سيدنا علي أعيد ترميمه وأصبح يُستخدم مجددًا للصلاة ويقصده فلسطينيون من مناطق مختلفة.

ويجب التمييز بين وصف وليد الخالدي الميداني، الذي يعود إلى فترة سابقة، وبين الحالة اللاحقة للمسجد بعد أعمال الترميم وإعادة استخدامه للصلاة.

المصادر

- الموسوعة التفاعلية للقضية الفلسطينية PalQuest: الحرم.
- PalQuest: al-Haram.
- فلسطين في الذاكرة: الحرم – سيدنا علي، قضاء يافا.
- وليد الخالدي، «كي لا ننسى»: الحرم، كما نشرته فلسطين في الذاكرة.
- توثيق محلي فلسطيني لتاريخ قرية الحرم ومقام سيدنا علي.
- توثيق محلي لمقام سيدنا علي بن عليل.
- وليد الخالدي، «كي لا ننسى»، مادة الحرم.
- حكومة فلسطين، تعدادا السكان لسنتي 1922 و1931.
- حكومة فلسطين، دائرة الإحصاء، «إحصاءات القرى لسنة 1945».